قصتي مع الكتاب

٢٠١٤/١١/٢٧م

مناولة الأستاذ عبد الرحمن الخضيري

جريدة الرياض.

س١ : ما الكتاب الذي أحدث تأثيرا فيك بعد قراءته ؟

ليس في حياة الإنسان كتاب واحد يمكن أن يعزو إليه بدايته ولا التأثير العميق فيه وفي معارفه ومكتسباته ، وإن كان لاشك أن المرء يبدأ بكتاب قد ينساه ولا يتذكر تأثيره إلا بعد مرور السنين ومضي الأيام ، وليس من الضروري أن يكون الإنسان ملتزما بمصدر واحد من مصادر الثقافة ولكن هناك كتب تبدأ مع بداية الإنسان وتناسب مستواه ويكون محتواها قريبا من ميوله ورغباته ، ولعل جيلي كان لا يتمتع بوفرة الكتاب حيث يختار ما شاء وينتقي ما يريد ولهذا السبب تحتفظ ذاكرته بشيء قليل من عناوين الكتب ومن هذه العناوين التي تحتفظ بها ذاكرتي جواهر الأدب التي كانت تجمع معلومات كثيرة وقصص وأمثال وحكم وتناسب سن الشباب وميولهم ، لما في ذلك الكتاب من نبذ من تاريخ الأدب وقصص العرب والشعر والحكم ، ومما كانت البدايات تذكره النظرات للمنفلوطي وهي أساليب قصصية سهلة ممتعة ، وغيرها من الكتب التي لم تعد الذاكرة تحتفظ بأسمائه لكن كانت القراءة هي شغل الطلاب في ذلك الوقت حيث لا يوجد شيء من الملهيات والصوارف التي تصرف الاهتمام عن القراءة مثلما هو حاصل الآن ، ولاشك أن هذه الحالة التي كنا عليها ساعدت في تكريس أكثر أوقاتنا للمطالعة ، أما اليوم فلا شك أن الزمن تغير وأن هناك من أنواع المعارف ما لم يكن في زماننا وهو أمر غاية في توسيع مدارك الشباب في هذا الوقت واطلاعهم على فنون كثيرة ما كنا نطمع بشيء منها ، وأنا أعد الجيل الحاضر محظوظين

www.mtenback.com

أكثر منا ومطلعون على علوم ومعارف لم نحصل عليها رغم أننا كنا نبذل من الوقت والجهد أضعاف ما يذله طلاب اليوم ، وتكون قراءاتنا ومعارفنا مركزة وعميقة بسبب الانقطاع لجنس واحد من العلوم وتركيز الذهن على الموضوع الواحد وليس التشتت بين معارف متنوعة ومتعددة ، وكثيرة الموارد والمصادر مثل ما هو حاصل اليوم ولكل شيء قيمته وضريبته التي يدفعها الناس مهما اختلفت أزمانهم وأماكنهم وأجيالهم ولكل زمان دولة ورجال كما يقول المثل المعروف .

س٢: ما نوع التأثير وهل أنت مقتنع بالتأثير ؟

التأثير الذي تتركه البدايات يكون قويا ولا ينسى وعادة أن الإنسان يبقى متأثرا ببداياته الأولى في الحياة ولا سيما أن المرء يتعود على مزاولة القراءة حتى تصبح عادة له و جزءا من اهتمامه الذي لا يتخلى عنه وتنوع الثأثير هو ما بقي معنا حتى هذه اللحظة ، ووجهنا هذه الوجهة التي قضينا بها العمر ، فلولا الأثر الذي تركته البدايات التي أشرت إليها لربما كان الاتجاه مخالفا والتخصص مختلفا ، والإنسان عندما ينظر إلى الوراء ويتذكر ما مضى من العمر يعرف أن اللبنات الأولى هي التي كانت وراء ما توجه إليه ، ولا شك أن الأثر يظهر في خياراته فيما بعد وفي ميوله العلمية وتخصصه ، وأنا أظن أن الكتب التي بدأت فيها هي التي وجهتني إلى الأدب وأغرتني في متابعة التخصص فيه ، ولذلك ترى أن الطلاب يثأرون فيما بدأت معارفهم به ، وقلما غيروا فيما بعد . أما القناعة فيما كان فلا شك عندي أن كلا ميسر لما خلق له كما في الأثر المعروف فقناعات الإنسان قد لا تكون هي كل شيء في حياته وإنما قد تسوقه الأقدار أو الصدف إلى طريق ليس في حسبانه ولم يخطط ليسلكه ولكنه يجد نفسه فيه لسبب أو لآخر ، فيقبل الأمر ويتوجه إلى الطريق الذي قاده الحظ إليه بدون تخطيط منه ، وكم من الناس الذين لم يخططوا ليكونوا في مكان أصبحوا فيه بحكم

www.mtenback.com

المصادفة ولكنهم قبلوا بالواقع وساروا في الطريق الذي فرض عليهم فكان نجاحهم مرضيا لهم حتى وإن لم تكن خياراتهم هي التي قادتهم إليه

س٣: ما مدى استمرار تأثيره ؟

أظن أن البدء الذي تبدأ به الحياة هو أهم ما يوجهها في كل الأيام ونحن لا يمكن أن ننفصل عن البدايات الأولى التي نبدأ بها وإلا لماذا كان الاستمرار وكانت الرحلة الطويلة مع الكلمة ومع القلم ؟ ولماذ كانت التربية في الصغر والحرص على الأدب والتأدب به ؟ ، فلولا تلك البدايات القوية المؤثرة في توجه الناس وفي صيرورتهم لما حصل أن يقضي المرء عمره فيما هو فيه من بدايات يتذكرها ويستمتع بها حتى هذه اللحظة ، استمرار التجربة هو القوة الدافعة التي تجعل الناس لا يملون المواصلة في رحلتهم التي اختاروها منذ النشأة الأولى وساروا ولم ينقطعوا لأن الانقطاع رجوع وتردد غير مفيد في التجربة حيث لا يتوفر على الحصيلة العلمية التي تجعله محل ثقة القارئ به . لولا استمرار التأثير لكانت حصيلة المعرفة قليلة وغير نافعة . ولم يمدح الناس التجارب وأهلها ويستفيدون منها ويحرصون عليها أعتقد أن استمرار التأثير شيئا غاية في الأهمية وهو ما يحدث في التجارب العالمية وما يؤثر في مكتسبات الأمم فلا ينبت الفرد ولا تنبت الأمة عن تأثير ماضيها بحاضرها وحتى في مستقبلها .

س٤ : هل ترى أن القراءة محرك أو دافع للتغيير في وقتنا الحاضر ؟

القراءة في الوقت الحاضر وفي كل وقت لا يمكن التخلي عنها أو التقليل منها لأنها الزاد الذي تعتمد عليه حياة المعرفة وانتشارها والاستفادة منها وفي الوقت الحاضر تأخذ القراءة حيزا مهما من تأصيل المعلومة التي يحتاجها الناس ولا سيما أن وسائل القراءة لم تعد الكتاب فحسب ولكن تعددت مصادر القراءة وسهل استعمالها في كل الأحوال حيث في الماضي كان الكتاب هو الوعاء الوحيد للقراءة مع ما يحصل من صعوبة في حمله في كل

www.mtenback.com

مكان تكون فيه مثل السفر والعمل وغيرها ، أما اليوم فإن القراءة ممكنة في كل مكان بفضل ما حملته إلينا التقنية من وسائل تستطيع أن تحمل بها المجلدات من الكتب وأنت في أي مكان في العالم وتقرأ ما تشاء أين ما كنت ، ولاشك أن القراءة هي دافع التغيير والتطوير في فكر المرء وفي ثقافة الأمم وفي معارف العالم والوقت الحاضر أكثر ضرورة وحاجة إلى القراءة الواعية والاختيارات النافعة ولا سيما في هذا الزمن المتسارع والثقافات المختلفة والعولمة التي أخذت مساحات واسعة من اهتمام المفكرين والعلماء والأدباء في العالم كله .

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com